الفصل الثانى

الحكومة العالمية
فى رأى المدرسة الأنجلو سكسونية

١ - مشروع توماس مورس :

ولد توماس مورس فى لندن سنة ١٤٧٧، ودرس فى جامعة أكسفورد وظل يتدرج فى مناصب الدولة حتى صار المتحدث بلسان مجلس العموم، ثم عين وزيرًا. غير أن خلافًا ثار بينه وبين الملك هنرى الثامن، وتطور هذا الخلاف حتى أدى إلى الحكم عليه بقطع رأسه، وقد نفذ فيه الحكم سنة ١٥٣٥.

وفى سنة ١٥١٥ كان فى بعثة ديبلوماسية فى الأقاليم البلجيكية، وأثناء هذه الرحلة ألف كتابًا سماه «أيتوبيا» وصف فيه دولة مثالية أطلق عليها هذا الاسم، وسمى سكانها «الأيتوبيين» ووصف هذه الدولة بأنها تعيش فى سلام دائم مصدره تعديل نظامها الاجتماعى تعديلاً جعلها أمة لا تتحكم فيها الفوارق الاجتماعية أو الطبقات، ولا يوجد فيها فقراء.

وخلاصة آرائه أن تحويل الإنسان من مخلوق سفاك للدماء إلى إنسان محب للسلام أمر ممكن إذا استطعنا السيطرة على غرائزه بإصلاح وضعه الاجتماعى.

وقد تكون فلسفته هذه هى النواة الأولى للفلسفة الماركسية التى ترى أن

تغيير الأوضاع الاجتماعية فى دول العالم، وإحلال النظام الشيوعى محلها يكفل للبشر سلامًا دائمًا.

٢ - مشروع وليم بن :

وليم بن نبيل إنجليزى، وشخصية عالمية ممتازة. كان ينتمى إلى جمعية مسيحية ذات صبغة خاصة تسمى «جماعة الكويكرز» وقد هاجر إلى أمريكا وأسس فيها دولة سميت، فيما بعد، باسمه. وهى «بنسلفانيا» وقد طبق فيها الأحكام والمبادئ التى نادى بها فى كتابه «مشروع للسلام الأوربى فى الحاضر والمستقبل» فجعلها دولة لا تستبيح استعمال القوة فى علاقاتها الداخلية أو الخارجية، ولا تبيح لأى فرد من أهلها حمل السلاح. والآراء التى تضمنها كتابه تتلخص فيما يلى :

١ - أن يقوم بين الدول الأوربية اتحاد مصدره الإخاء والحب المتبادل بين كافة الشعوب. ويتم ذلك بمنع التنافس فى التسلح، على ألا يكون هذا المنع ماسًّا بالشئون الداخلية لأية دولة، أو متعارضًا مع سيادتها، أو ضارًّا باقتصادياتها.

٢ - يقوم بمعاونة الاتحاد فى أداء هذه الرسالة برلمان مؤلف من الدول الأوربية يتولى وضع القواعد العادلة التى يلزم الحكام بمراعاتها. ويتولى هذا البرلمان أمر الفصل فى كل ما ينشب من خلاف بين الدول، وتصدر قراراته بأغلبية ثلاثة أرباع الأصوات.

٣ - يتألف هذا البرلمان من تسعين عضوًا، وتكون كل دولة ممثلة فيه بأعضاء حسب قوتها فيكون للإمبراطورية الألمانية اثنا عشر عضوًا، ولفرنسا عشرة أعضاء ولأسبانيا عشرة، ولإنجلترا ستة، ولكل من السويد وهولندا أربعة وهكذا...

٤ – لم يذكر فى مشروعه شيئًا عن الوسائل التى يجب اتخاذها ضد كل دولة لا تنفذ قرارات برلمانه المقترح، وقد تكون علة ذلك أن مشروعه يقوم على المسالمة وعلى مبادئ «جماعة الكويكرز» وكلاهما لا يبيح استعمال القوة، ولا التهديد بها. وقد أغفل التعرض لاتخاذ وسائل قهرية لإملاء السلام، وكأنه افترض أن مثل هذه العقبة لن تعترض سبيل مشروعه فاكتفى بأن تكون «قوة الرأى العام» هى العامل القوى فى تنفيذ قرارات البرلمان.

وموجز رأيه أن تنظيم المجتمع الأوربى على أساس من العدل يؤدى حتمًا إلى استتباب السلام، لأن الرأى العام بطبيعته يحب العدل، فهو الحارس الأمين للسلام العام.

٣ – مشروع جريميه بنتام:

ولد جريميه بنتام سنة ١٧٤٨ فى لندن، ولما شب أخذ يعد نفسه ليكون محاميًا مثل والده، لكنه سرعان ما ترك المحاماة وعكف على التأليف فى القانون والفلسفة وتوفى سنة ١٨٣٢.

أما قضية السلام فقد تناول دراستها فى كتابه (مبادئ القانون الدولى العام) وهو مقسم إلى أربعة أبواب، أهمها الباب الرابع الذى جعل عنوانه «مشروع لسلام عالمى دائم»..

وفكرته بشأن تحقيق السلام تتفق مع نظريته الاقتصادية عن المنفعة. فمشروعه يهدف إلى تحقيق أكبر قسط من السعادة لأكبر عدد من الأفراد. وأكبر عدد فى نظره هو شعوب العالم قاطبة. فغاية السياسى يجب ألا تقف عند حدود بنى جنسه يسعى لتحقيق السعادة لهم وحدهم، بل يجب أن يتخطى الحدود القومية فيعمل على نشر الرخاء والسلام بين أبناء البشر جميعًا. ويقدم لتحقيق هذه الأهداف المقترحات الآتية:

١ - تخفيض سلاح كافة الدول.

٢ - تحرير جميع المستعمرات وجلاء المستعمر عنها. ويشير بذلك إلى إنجلترا وفرنسا ثم يحلل السياسة الإنجليزية ويستنبط من تحليله أنه ليس من مصلحة إنجلترا أو فرنسا أن تكون لها أية مستعمرة، ولا أن تبرم إحداهما أية معاهدة مع دولة أجنبية، ولا أن تكون لها قوات بحرية أكثر من التى تكفى لمكافحة القرصان.

ثم يأخذ بعد ذلك فى توضيح آثار التنازل عن المستعمرات، فيبين أنه سيكون من أسباب استتباب السلام. لأن امتلاك مستعمرات فيما وراء البحار من أسباب إثارة المنازعات، وتوسيع مجالها، وتثور الحروب من أجلها. وبخاصة لأن حجج تملك هذه المستعمرات قابلة للأخذ والرد، خاضعة للنقاش والجدل. وفوق هذا وذاك فإن كثيرًا من المستعمرات تكون عبئًا على المستعمر، لا تزيده شيئًا بل تستنفد من إيراده أموالاً يكون الشعب الأصيل أولى بها وأحق.

٣ - مكافحة المعاهدات السرية، والديبلوماسية الخفية لأنهما تعكران جو السلام والحرية، ولا تتفقان مع قضاياهما.

٤ - تشجيع تبادل التجارة بين مختلف البلاد.

٥ - إنشاء محكمة عدل دولية تفصل فى الخصومات، ولكن ليس لها أن تفرض عقوبات.

٦ - تكوين ما يسمى (ديت) أى هيئة دولية مكونة من نائبين عن كل دولة. وتكون المناقشات فى تلك الهيئة علنية ليكون الرأى العام العالمى على علم بقضاياه. وليدافع عن السلام والأمن.

ونستطيع أن نفهم من كل هذا أن بنتام يعتبر فى طليعة المنادين

بالدبلوماسية المفتوحة، وهى السياسة التى نادى بها الرئيس ولسن فيما بعد، وكلاهما قد فشل فى سياسة الاعتماد على الرأى العام. فكما أن مبادئ بنتام ومشروعاته لم تستطع أن تحول دون الحروب الناجمة عن الثورة الفرنسية. ولا أن تحول دون حروب نابليون كذلك لم تستطع مبادئ الرئيس ولسن أن تحول دون وقوع الحرب العالمية الثانية.

وقد يبدو لمن ينظر إلى المنهج العام للمدرسة الأوربية، والمدرسة الأنجلوسكسونية نظرة غير عميقة أنه ليس بينهما فرق جوهرى. فكلا المنهجين يدعو إلى إقامة اتحاد دولى يكفل السلام والأمن، وكلاهما يقترح إنشاء أنظمة لتحقيق هذه الغاية. ولكن إذا تعمق الإنسان فى الدرس ظهر له ما بينهما من فروق جوهرية : فالاتحاد الذى تقترحه المدرسة الأوربية يستند إلى قوة مادية تفرض العقوبات الرادعة على كل دولة تخل بالتزاماتها، أو تعكر جو السلام العالمى، أما الاتحاد الأنجلوسكسونى فيعتمد على قوة الرأى العام الذى يجعل الدول تخشى بأسه فلا تخل بالتزاماتها، ولا تتوانى فى تنفيذ ما يفرضه عليها التنظيم الدولى.